

عاشوراء والقرآن المهجور

آية الله العظمى الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين. كما ان خواص الأشياء، وقوانين الكون والطبيعة، في مختلف الأمور، وسائر الشؤون من طب وهندسة، وفيزياء وكيمياء وغير ذلك، أمور ثابتة ودائمة، فكذا خواص التشريع، وقوانين العقائد والأصول، والفقه والقضاء، هي أمور ثابتة ودائمة أيضاً، وهذا لا ينافي فتح باب الاجتهاد في الفروع كما لا يخفى.

ومن باب المثال نقول: كما ان القاعدة لتحصيل مساحة المربع دائماً هو: أن تضرب عدد أمتار أحد أضلاعه الأربعة في ضلعه الآخر، أو ان خواص الأعشاب الطبية وتأثيرها في المعالجات الطبية مسلم ودائم إذا توفرت الشروط، فكذا أحكام الله تعالى وقوانينه التشريعية يكون لها الدوام، ويبقى لها التأثير الدائم في الحياة، سواء علم الناس بذلك أم جهلوا، وسواء اتبعوها وعملوا بها، أم تركوها وأعرضوا عنها، وسواء تلقوها بالقبول، أم أعلنوا رفضها لهم، فإن ذا الأثر يترك أثره على المجتمع والطبيعة - إذا اجتمعت شرائطه وانتفت موانعه - دائماً وفي كل الصور والأحوال، نفيًا وإيجابًا، ووجوداً وعدمًا.

نعم إن الأحكام الإسلامية، والقوانين التشريعية لله تبارك وتعالى، يكون لها الآثار الإيجابية عند تطبيقها والعمل بها، كما انه تترتب الآثار السلبية إذا تركت وأعرض عنها. والإنسان إذا أراد الخير لنفسه ومجتمعه، وبلاده وأمتة عليه أن يأخذ بها كي يحصل على آثارها الإيجابية ونتائجها الطيبة، وإلا فانه سوف يدفع ضريبة تركها ورفضها، قال الله تعالى: (ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا)(١).

نعم إن المعجزة فقط هي التي تكون مستثناة من هذه القوانين والقواعد - وان كانت مندرجة في قوانين وقواعد أخرى - مثل نار إبراهيم الخليل (عليه السلام) التي أصبحت عليه برداً وسلاماً بأمر الله عز وجل(٢). ومثل انفلاق البحر في قصة موسى (عليه السلام)(٣).

ومثل رجوع الميت حياً كما في قصة إحياء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لبعض الموتى(٤)، وغير ذلك من المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة للأنبياء العظام وأوصيائهم الكرام (عليهم السلام). ثم لا يخفى ان الإسلام الذي عرفه القرآن الحكيم، وبيّنته السنة المطهرة هو الذي سبب عزة المسلمين

١- سورة طه: ١٢٤.

٢- إشارة إلى قوله تعالى: (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) سورة الأنبياء: ٦٩.

٣- قال تعالى: (فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر، فانفلق فكان كل فريق كالطود العظيم) سورة الشعراء: ٦٣.

٤- راجع الفضائل لابن شاذان: ص ٦٧.

ورفعتهم، وضمن لهم سعادتهم ورفاههم، وصار كما جاء في الحديث الشريف: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) (٥)، وصار المسلمون كما أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): (تكونوا ملوكاً في دنياكم) (٦).
وأما هذا اليوم الذي هجر فيه المسلمون القرآن الحكيم، وتركوا أحكامه وراء ظهورهم، وصاروا مسلمين بالاسم والجنسية فقط، فقد خسروا كل الآثار الطيبة للإسلام، وأصابهم جميع الآثار السيئة لترك الإسلام، من فقر وعدم، ومرض وجهل، حتى تحقق فيهم قوله تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٧).
وهذا الكراس محاولة متواضعة لبيان بعض الفوائد المترتبة على العمل بالإسلام والقرآن الكريم، راجياً من الله تعالى أن ينفع به وأن يوفق المسلمين للأخذ بأحكام القرآن والعمل بقوانينه الراقية، حتى يستعيدوا عزتهم وشوكتهم، وسيادتهم وسؤددهم، وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

المحرم وواجبنا تجاهه

يلزم شدة الاهتمام في أيام محرم الحرام، وخاصة عشرة عاشوراء، وكذلك في أيام الأربعين، بموضوعين مهمين - إضافة إلى إحياء الشعائر الحسينية المقدسة - وهما:
١: وجوب تطبيق كل الأحكام الشرعية وجميع القوانين الإسلامية الثابتة عن طريق القرآن والسنة المطهرة.
٢: وجوب هداية الناس جميعاً وخاصة هداية غير المسلمين إلى الإسلام.
وعلى المسلمين عامة، والخطباء والمبلغين وأصحاب القلم والمنبر خاصة، التحدث بهما والكتابة عنهما، حتى ينتشر ذلك في المجتمع الإسلامي، ويتعرف عليه جميع المسلمين.

١

تطبيق القوانين الإسلامية

أما الموضوع الأول وهو وجوب تطبيق كل الأحكام الشرعية، ومطالبة تطبيق جميع القوانين الإسلامية، التي ثبتت عندنا ووصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما فيها أحاديثهم المباركة.
فان في هذا المجال لابد من بذل الاهتمام الأكثر بمسائل قد تركزت - وللأسف الشديد - ويلزم السعي في إعادتها إلى المجتمع والحياة اليومية من جديد، والتي من جملتها ثلاث آيات من القرآن الكريم التي قد أعرض عنها بالمرّة، وهي كالتالي:

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ ح ٥٧١٩.

٦- راجع اعلام الوری: ص ٤٠، وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٥.

٧- سورة النحل: ١١٨.

آية الحريات الإسلامية

أولاً: آية الحريات الإسلامية: قال الله تعالى وهو يصف مهام رسوله (صلى الله عليه وآله) في بعثته الكريمة: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)(٨).

إن الإسلام هو دين الحرية والتحرر، وقد تنعم المسلمون الأوائل في صدر الإسلام بهذه النعمة الإلهية الكبرى، ولمسوها بقلوبهم وأبدانهم، وتحسّسوا بردها وروحها، بينما اليوم قد كثرت القيود والأغلال بسلب حريات الإسلام عن المسلمين، وقد سلبوها عنهم بالفعل، وأبدلوا مكانها بالضد منها، فعلى المسلمين أن يعملوا لإزاحتها والتخلص منها.

إن الإسلام أعطى كامل الحرية للإنسان، وذلك في غير ما فرضه الله تعالى على الإنسان لحفظ إنسانيته، وتعالى روحه، ورغد عيشه، وسعادة حياته، من فعل الواجبات وترك المحرمات، وما أقلهما بالنسبة إلى الحريات الإسلامية، فانه فيما عدا ذلك جعل الله الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء، وأن يترك ما يشاء. فأعطاه الحرية في الفكر والعقيدة، والحرية في العمل والاكتساب، فله أن يختار ما يشاء منها ويترك ما يشاء منها، على ما يحب هو ويريد.

كما أعطاه الحرية في طلب العلم ومواصلة الدراسة، وفي الاستفادة من الثروات الطبيعية، والمباحات الأصلية، ومن السفر إلى أي بلد شاء، والإقامة في أي بلد أراد، وفي البناء والعمران، وفي إبداء الرأي في المسائل السياسية، وإعلان انتقاداته بالنسبة إلى الحاكم والرئيس، والقادة والوزراء، وكذلك الحرية في الزراعة والصناعة، وغير ذلك من الحريات الكثيرة التي منحها الإسلام للإنسان في حياته اليومية، بلا حاجة إلى اقتناء جنسية، أو جواز سفر، أو هوية، أو جواز عمل، أو ترخيص بناء، أو ما أشبه ذلك من القيود والأغلال. كما إن الإسلام أعطى الحرية للفرد، والحزب، والتجمعات السياسية، بأن يبدوا آراءهم، ويعلنوا انتقاداتهم، ويقدموا أطروحاتهم، في كيفية الحكم وطريقته، وفي نوعية السياسة، وفي منهجية الحكومة، عبر كل وسائل البث والنشر، من صحف ومجلات، ورايو وتلفزيون، وكتب ومقالات، وندوات وتجمعات، وغير ذلك. وبكلمة واحدة: إن الإسلام يضمن لكل الناس حرياتهم المشروعة الأعم من الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

آية الأخوة الإيمانية

ثانياً: آية الأخوة الإسلامية والإيمانية: قال الله تعالى وهو يبين كيف يجب أن تكون العلاقة بين المسلمين والمؤمنين: (إنما المؤمنون إخوة)(٩).

وهذه الآية وللأسف الشديد قد هجرت بشدة بين المسلمين، وأعرضوا عنها وعن العمل بها. إن الإسلام هو دين المحبة والألفة، ودين الروابط الحسنة، والعلاقات الأخوية الصادقة، وهو دين الأخوة بما

٨- سورة الأعراف: ١٥٧.

٩- سورة الحجرات: ١٠.

للكلمة من معنى.

إن الإسلام يرى كل المسلمين، وجميع المؤمنين إخوة، مهما اختلفت أصولهم ولغاتهم، وصورهم وألوانهم، إنه لم يسمح لأحد من المسلمين أن يدعو أخاه المسلم بالأجنبي، ولا أن ينظر إلى أخيه المسلم بعين الازدراء أو التحقير، أو بنظرة الغريب للغريب الذي لا يمت إليه بصلة ولا يربطه به شيء من الروابط. إن الإسلام يرى رباط الدين والإيمان بالله ورسوله من أوثق الروابط وأمتنها، وأقوى العلائق وأبرمها، إنه يرى لكل من يتشهد بالشهادتين هذه الرابطة بالنسبة إلى أخيه ممن يشهد بهما، فلا يجوز له أن يخرقها أو يوهنها تجاهه، مهما كان ذلك المتشهد بالشهادتين من حيث اللسان والأصل، واللون والعرق مختلفاً مع هذا الآخر.

إنه أراد أن يكون المسلمون فيما بينهم كأفراد أسرة واحدة، التي يظلها أب واحد وأم واحدة، فأبوهم آدم (عليه السلام) وأمهم حواء (عليها السلام)، وأراد لهم أن يعيشوا حياة أخوية ينتمون إلى بيت واحد، وعائلة واحدة، يعمر قلوبهم الحب والوداد، والتآلف والتعاون، وينكر عليهم العداوة والبغضاء، والتشاجر والتناحر. وقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عملياً - بعد أن جاء القرآن بآية الأخوة - بين المسلمين وأكثر من مرة، ليطبق أمر الله عز وجل ويعلم المسلمين على التآخي بينهم.

شواهد ونماذج

فعن ابن عباس وغيره: (إنه لما نزل قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) (١٠) آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أنت أخي وأنا أخوك يا علي (١١).

وفي الخبر أيضاً: (لما كان يوم المباهلة آخى النبي (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين والأنصار، وادّخر علياً (عليه السلام) لنفسه، فأخذ (صلى الله عليه وآله) بيده (عليه السلام) فأرقاه المنبر فقال: اللهم هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فأنصرف علي (عليه السلام) قرير العين (١٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (المسلم أخو المسلم، وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسى ويعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم) (١٣). وقال (عليه السلام): (إذا قال الرجل لأخيه: أف، انقطع ما بينهما من الولاية، فإذا قال: أنت عدوي، فقد كفر أحدهما، فإذا اتهمه، انما في قلبه الإيمان كما ينماث الملح في الماء) (١٤).

١٠- سورة الحجرات: ١٠

١١- بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٣٣ ب ٦٨ ح ٤.

١٢- سفينة البحار: ج ٢ ص ١٢ مادة (أخا) ط القديمة.

١٣- بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٢١ ب ١٥ ح ٢.

١٤- الكافي: ج ٢ ص ١٧٠ ح ٥.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيء منه، وجد ألم ذلك في سائر جسده) (١٥).

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إنما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) (١٦).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (والله ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن) (١٧).
وقال (عليه السلام) أيضاً: (والله إن المؤمن لأعظم حقاً من الكعبة) (١٨).
وقال (عليه السلام): (دعاء المؤمن للمؤمن يدفع عنه البلاء ويدبر عليه الرزق) (١٩).
وإلى غيرها من الروايات الكثيرة في هذا المجال.

نعم إن الإسلام دين الفتوة والمروءة، ودين المحبة والأخوة، ويريد لكل المسلمين أن يعيشوا إخوة متحابين، وأحباباً متصافين. يعني: تماماً بخلاف الذي نراه اليوم ونسمعه بين المسلمين وللأسف الشديد من أن الإيراني المسلم يدعو أخاه المسلم العراقي: أجنبيّاً، والعراقي أخاه الإيراني بالأجنبي، وهكذا، وهو خلاف صريح للقرآن.

آية الأمة الواحدة

ثالثاً: آية الأمة الواحدة، قال الله تعالى وهو يبين كيف يجب أن يكون المسلمون سياسياً ومن حيث الحكم والتركيب السياسية: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (٢٠).
وهذه الآية الكريمة تعني: إن المسلمين لهم مشتركات كثيرة من أهمها: توحيدهم للخالق وهو الله تبارك وتعالى، وقبولهم نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واعتقادهم بالإسلام والقرآن، والقيامة والمعاد، وهذه المشتركات هي التي تؤكد على أن يكون المسلمون بكل طوائفهم أمة واحدة، ذات بلد واحد، وحكومة واحدة.
فالأمة الواحدة التي يناشدنا بها القرآن الكريم، ويخاطبنا بها الله تعالى، تتطلب وقبل كل شيء أموراً تالية:

رفع الحواجز النفسية

١: إلغاء الضغائن القلبية ورفع الحواجز النفسية، وذلك بأن تطيب نفوس المسلمين بعضهم تجاه البعض الآخر، وأن يرى كل مسلم المسلم الآخر: أخاه في الدين والعقيدة، ونظيره في الخلق والإنسانية.

١٥- الكافي: ج ٢ ص ١٦٦ ح ٤.

١٦- سفينة البحار: ج ٢ ص ١٣ مادة (اخا) ط القديمة.

١٧- مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣٩ ب ١٠٥ ح ١٠١٤.

١٨- بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٦٤ ب ١٥ ح ١١٥.

١٩- بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٢١ ب ١٥ ح ٢.

٢٠- سورة (المؤمنون): ٥٢.

إلغاء الحدود الجغرافية

٢: إلغاء الحدود الجغرافية المبتدعة، التي أحدثها الغرب في بلاد المسلمين، وقسمها إلى بلدان صغيرة لا حول لها ولا قوة، ولا شوكة ولا هيبة، حتى يستطيع التغلب عليها، والسيطرة على منابعها وثرواتها، وقد فعل الغرب ونجح في مخططه هذا، وسيطر وتغلب، وسلب ونهب، وإلا فأين الذهب الأسود والذهب الأحمر الذي هو ملك المسلمين، والمسلمون يموتون جوعاً، ويكابدون الفقر والحرمان، والجهل والمرض.

رفض الجواز والجنسية

٣: إلغاء ما يرتبط بالحدود الجغرافية من تبعات، ورفض مثل جواز السفر، والجنسية، والهوية، وضرائب الدخول والخروج من البلد، والجمارك والمكوس، وغير ذلك مما قد ابتلي به المسلمون وللأسف الشديد منذ ستين عاماً وحتى هذا اليوم، علماً بأن كل ذلك مما أوجده الغرب لعرقلة تقدم المسلمين وصدهم عن تعاليمهم، وليس لشيء من ذلك أية شرعية في الإسلام.

بل إن الإسلام يرى الأمة الإسلامية أمة واحدة، ويرى كل أمر يفرق صفوف المسلمين، ويمس وحدتهم، ويهدد اتحادهم وكيانهم، أمراً محرماً أشد الحرمة، ومرفوضاً رفضاً باتاً، وعلى المسلمين أن يرفضوه بكل صراحة وقاطعية.

وعليه: فيلزم أن لا تكون هناك حواجز نفسية بين المسلمين، ولا حدود جغرافية بين بلادهم، ولا جواز ولا جنسية، ولا تأشيرة دخول وخروج، ولا رسوم ولا ضرائب، ولا جمارك ولا مكوس، فيما بينهم، وعليهم إلغاؤها جميعاً كما ألغى الغرب ذلك أخيراً بين بلادهم، وحذفوا تأشيرات الدخول والخروج، ورسوم الجمارك والمكوس وما إليها فيما بينهم نسبياً.

هذا وقد كان ذلك كله في الإسلام، فإن البلاد الإسلامية على وسعتها كانت بلدة واحدة، ذات حكومة مركزية واحدة، حتى جاء الغرب ففرقهم أيادي سبا، ومزقهم بسبب هذه الحدود الجغرافية، وزرع الحواجز النفسية في نفوسهم أيما تمزيق.

تطبيق سائر القوانين الإسلامية

ثم إن هناك ما يجب على الجميع الاهتمام به أيضاً، وهو:
العمل على تطبيق سائر القوانين الإسلامية المتروكة في المسلمين والمهجور فيما بينهم غير ما ذكرناه، تلك القوانين التي يكون في تطبيقها ضمان لسعادة الحياة الإنسانية فرداً ومجتمعاً، اقتصاداً وسياسة، وغير ذلك.
قانون الشورى

فمن تلك القوانين الإسلامية: (قانون الشورى) قال الله تعالى: (وشاورهم في الأمر) (٢١) وقال سبحانه:

(وأمرهم شورى بينهم)(٢٢).

وإحياء هذا القانون وتطبيقه يلزم أن يكون في كل مجالات الحياة.. من الحياة المنزلية والعائلية، إلى الحياة الاجتماعية والسياسية.

فيلزم على كل مسلم أن يطبق قانون الشورى في بيته ومع عائلته وأولاده إناثاً وذكوراً، وذلك بأن يشاورهم في الأمور المنزلية والأمور الفردية والعائلية حتى في انتخاب الملبس والمركب، والمأكل والمشرب، ناهيك عن الأمور التربوية والأخلاقية، علماً بأن الأسرة هي لبنة الاجتماع وحجرها الأساسي، فمنها يتكون الاجتماع الكبير، وتتشكل الدول والحكومات، فإذا بنى الإنسان حياته على الشورى وطبقها من أوائل عمره وفي كل شؤونها، تعود عليها عند كبره ولدى دخوله في محيط المجتمع وحين تصديه لإدارة الأمور، أو قيامه بأعباء الحكم والقيادة، والزعامة والرئاسة.

فمن أسباب ظهور الدكتاتوريات الموجودة اليوم في المسلمين هي عدم تطبيق قانون الشورى في الحياة اليومية، الفردية والعائلية، وذلك لأن الخير والشر عادة، كما ورد في الحديث الشريف، وثبت في علم النفس الاجتماعي، فإذا لم يتعود الإنسان من صغره على التشاور في أموره، لم يتمكن أن يلتزم بقانون الشورى فيما يخص الأمة في كبره.

وكيف كان: فإن (قانون الشورى) يلزم تطبيقه في مختلف جوانب الحياة، ومنها السياسة، فيلزم إدارة البلاد الإسلامية عبر انتخابات حرة، وذلك بأن يقوم الناس بانتخاب من يرضونه من بين الفقهاء المراجع، فإذا تم انتخاب شورى الفقهاء المراجع يتصدى شورى المراجع المنتخب لإدارة البلاد والعباد، ثم يقوم الشورى بالتعاون مع الأحزاب الحرة المنافسة في البناء والتقدم، وعبر الانتخابات الحرة بانتخاب القوة التنفيذية، لتطبيق الأحكام الشرعية والقوانين الإسلامية وتنفيذها في كافة مجالات الدولة وحياة الناس، وذلك لمدة معينة حسب المتفق عليه من مدة أربع أو خمس سنوات، ثم تتجدد الانتخابات للمرة الثانية، والثالثة، وهكذا.

قانون حيازة المباحات

ومن تلك القوانين الإسلامية التي يجب اعادتها إلى التطبيق الخارجي، والتنفيذ العملي في حياة المسلمين: هو قانون حيازة المباحات، وقانون الاستفادة بحرية من المنابع الطبيعية، من البحار، والغابات، والأرض. فكما أن لكل إنسان الحق في أن يستفاد من الهواء والماء، فكذا لكل إنسان الحق في أن يستفاد بقدر لا يضر حق الآخرين من البحار بصيد السمك، ومن الغابات بأخذ ما يحتاجه منها، ومن الأرض بحيازة ما يستطيع من عمرائها، سواء عمرها بالزراعة أو بالغرس، أو بالبناء أو بالمشاريع الانتفاعية أو الخيرية، فإن هناك بالنسبة إلى حيازة الأرض قانون شرعي يقول: (الأرض لله وللمن عمرها)(٢٣) وبالنسبة إلى المباحات الأخرى قانون شرعي يقول: (خلق لكم ما في الأرض جميعاً)(٢٤).

٢٢- سورة الشورى: ٣٨.

٢٣- الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ ح ٢.

٢٤- سورة البقرة: ٢٩.

فلاستفادة من الأرض ومن سائر المباحات جائزة لكل إنسان ضمن حدود نظيفة ونزيهة، وذلك بأن يحوز منها بمقدار لا يتعدى فيه على حقوق الآخرين، فلا يملك منها ما هو أكثر من قابليته، ولا ما يوجب ضياع حق غيره، كما قال تعالى: (خلق لكم) (٢٥) يعني: للجميع، على نحو العدل والقسط.

قانون السبق

ومن تلك القوانين الإسلامية التي هجرت فيما بين المسلمين: قانون السبق، القائل: (من سبق إلى ما لا يسبق إليه مسلم فهو أحق به) (٢٦).

مثلاً: إذا سبق أحد إلى أرض موات فعمرها واكتشف فيها النفط فاستخرجه منها، أو سبق إلى أرض فيما الملح فاستخرجه منها، أو غير ذلك من سائر المعادن الموجودة في الأراضي الموات، التي هي ملك لله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وقد وهبها الرسول (صلى الله عليه وآله) للمسلمين، إن حاز أحد منهم شيئاً منها وعمرها، فإنها تكون له.

فالمسلمون بالنسبة إلى هذه المباحات على حد سواء، لهم حيازة ما يحتاجون إليه، وما يريدونه بشرط عدم التجاوز على حقوق الآخرين، وذلك بلا حاجة إلى جواز عمل، أو ترخيص رسمي، أو دفع رسوم وضرائب، أو ما أشبه ذلك.

ولا يخفى أن هذه القوانين وغيرها من الأحكام الشرعية والقوانين الإسلامية الأخرى، قد استخرجها واستنبطها كبار علمائنا ومشايخ فقهاءنا، طوال القرون الماضية، بجد وجهد كبير، من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة، وجمعوها في مجاميع فقهية، وموسوعات استدلالية، من أمثال كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وكتاب: (الحدائق الناضرة) وكتاب: (مستند الأحكام) وكتاب: (مصباح الفقيه) وغيرها من الكتب الاستدلالية الفقهية، وجعلوها في متناول أيدينا، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً.

٢

هداية غير المسلمين إلى الإسلام

وأما الموضوع الثاني الذي يجب شدة الاهتمام به في أيام محرم الحرام، وخاصة عشرة عاشوراء وكذلك في أيام الأربعين هو: وجوب هداية الناس جميعاً وخاصة هداية غير المسلمين إلى الإسلام. وإنما يجب هداية الناس وخاصة غير المسلمين إلى الإسلام، لأن الإسلام لم يكن خاصاً بالمسلمين، بل الإسلام جاء لهداية كل الناس وجميع البشر، قال الله تعالى في حق نبيه الكريم ورسالته السماوية: (وما أرسلناك إلا كافة للناس) (٢٧).

٢٥- سورة البقرة: ٢٩.

٢٦- مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ١١١ ب ١ ح ٢٠٩٠٥.

٢٧- سورة سبأ: ٢٨.

وقال في حق كتابه الحكيم وآياته المباركة: (بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون)(٢٨).
وقال في الهدف من بعث الرسول (صلى الله عليه وآله): (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٢٩).
وقال الرسول (صلى الله عليه وآله): (أنا الرحمة المهداة)، فهذه الهدية التي أرسلها الله تعالى وبعثها رحمة منه، أرسلها رحمة للعالمين كلها، وليس للمسلمين فقط، ولا للناس فحسب، ولا للكرة الأرضية وحدها بل لكل الخلق من الإنس والجن وسائر المخلوقات، ولبقية مخلوقاته في الكواكب والمنظومات والمجرات، وذلك لأن (العالمين) جمع العالم، والعالم هو كل الخلق ومجموع الخلق.

اذن: فالإسلام ليس خاصاً بالمسلمين فحسب، بل هو نور لكل الناس، وواجبنا نحن المسلمين عامة، والخطباء والمبلغين، والكتاب والعلماء خاصة بإصال الإسلام إلى غير المسلمين وهدايتهم إليه.
رسالة الإسلام رسالة عالمية

وفي التاريخ نرى أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يحصر نفسه، ولم يحبس دينه على جماعة خاصة، ولا على بلد خاص، ولا على قوم خاصين، وإنما سعى سعياً حثيثاً، وجدّ اجتهاداً كبيراً في أن يهدي الناس كافة، من أي قوم ولغة كانوا، وفي أي بلد ومنطقة سكنوا.
انه (صلى الله عليه وآله) عندما كان في مكة المكرمة كان يلتقي بالناس أيام الموسم حيث كان الناس يتقاطرون على بيت الله الحرام من كل صوب وجهة، وكان يعرض عليهم الإسلام، ويقرأ على مسامعهم القرآن الحكيم.

وعندما هاجر (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة، كاتب جميع الملوك، وراسل كل رؤساء العالم في ذلك اليوم وبلغهم الإسلام، ودعاهم إليه، كما وأمر(صلى الله عليه وآله) بإجازة الوفود الذين يغدون للمدينة للالتقاء به (صلى الله عليه وآله) فتقاطرت عليه الوفود من كل أطراف الدنيا، حتى سمي ذلك العام: عام الوفود.
ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بأن نفتدي برسوله (صلى الله عليه وآله) في كل شيء، ومنها هداية الناس إلى الإسلام، وخاصة في هذا اليوم، الذي اتسعت فيه شبكة الارتباطات، وسهل التعرف فيه لكل منا على الآخرين، وأصبح العالم كبيت واحد، وأفراده كأفراد أسرة واحدة، وهذا مما يثقل مسؤوليتنا، ويعظم واجبنا وتكليفنا، ويحتم علينا أن نستفيد من كل هذه الوسائل والامكانات لهداية الناس.. كل الناس إلى الإسلام.

تحرك المسلمين لهداية الغربيين

مثلاً: هناك في الغرب بعض الحريات النسبية التي تساعد على أداء هذه المهمة، فيجب علينا الاستفادة منها في هداية غير المسلمين إلى الإسلام، ومثلاً على ذلك نذكر: إن جماعة من المسلمين في أمريكا اتفقوا على هداية غير المسلمين إلى الإسلام، وخططوا لذلك خطة ومنهاجاً، وكان بعض مناهجهم هو: تبليغ السجناء وهدايتهم إلى الإسلام، فكانوا يذهبون إلى السجون ويلتقون بالسجناء فيها ويتحدثون لهم عن الإسلام وعن أحكامه التقدمية وقوانينه الراقية، وحيث إن الإسلام هو دين الفطرة كان له التأثير البالغ على أولئك السجناء،

٢٨- سورة القصص: ٤٣.

٢٩- سورة الأنبياء: ١٠٧.

حتى إن كثيراً منهم أسلموا، وقد توسّع هذا الأمر في السجون وكثر عدد المهتدين إلى الإسلام مما أثار حفيظة بعض القساوسة واعترضت كنانتهم على هذا التحرك الإسلامي وقدمت شكوى إلى الرئيس الأمريكي تذكره بخطر الإسلام وانتشاره ومطالبته بالحد من نشاطات المسلمين، وتدعوهم إلى منعهم من الالتقاء بالسجناء. ونزولاً من الرئيس الأمريكي عند طلب المشتكين، أمر بهيئة ثلاثية للقيام بتحقيق حول الأمر وتقديم نتائج التحقيق إليه، وكانت مهمة هذه اللجنة الثلاثية، التحقيق حول أنه هل تحرك المسلمين على السجون وهداية السجناء إلى الإسلام يهدد أمن أمريكا، ويشكل خطراً على أمنها أم لا؟ فكانت نتائج التحقيق التي قدمتها اللجنة إلى الرئيس ملخصة في: أنه لم يكن تبليغ المسلمين الإسلام في السجون يشكل خطراً على أمن أمريكا أبداً، بل إن له التأثير الكبير في إصلاح نفوس السجناء، ورجوعهم عن العنف والارهاب إلى الرفق واللين، مما يزيد أمن البلاد واستقراره، ولما قرأ الرئيس تقرير لجنة التحقيق ردّ شكوى الكنيسة والقساوسة وقال في جوابهم: ان الذي يهمنا هو: حفظ الأمن واستقرار الدولة، وتبليغ الإسلام في السجون لا يشكل خطراً على أمننا واستقرارنا.

الإسلام يفتح طريقه بين اليهوديات

وقرأت أخيراً تقريراً في مجلة تصدر وتنشر في الغرب - أرسلها لي بعض الأصدقاء - وكان التقرير يقول: إن بعض النساء اليهوديات في إسرائيل عدلن عن اليهودية إلى الإسلام، فقامت حكومة إسرائيل بالتحقيق معهن، والتحري عن أسباب عدولهن عن اليهودية، والعلل التي من أجلها اعتنقن الإسلام، فكان جوابهن: لقد طالعنا أحكام الإسلام بالنسبة إلى المرأة وحقوقها، وحققنا في ذلك، فرأينا أن الإسلام يهتم بحقوق المرأة اهتماماً كبيراً ويحترمها احتراماً عظيماً، ويوفر لها حقوقاً أكثر، ويضمن كرامتها ضماناً أكبر، فللمرأة في الإسلام حقوق لا يعطيها مثلها أي دين ومبدأ آخر، أما المرأة في غير الإسلام فهي ليست أكثر من متاع تجاري ينتفع به التجار ويستدر عبرها الأرباح، أو لعبة تزيينية تتقاذفها اللحظات والنظرات وتتناوشها الهمسات واللمسات، إضافة إلى أنه ليس للنساء في غير الإسلام اطمئنان روحي، ولا أمان جسمي، بينما الإسلام يوفر للمرأة في ظله كل ذلك، ولهذا تركنا اليهودية واعتنقنا الإسلام. وجاء في آخر هذا التقرير: أن الحكومة الإسرائيلية قلقة جداً في انتشار الإسلام بين اليهود في إسرائيل.

استنتاج

ومن هذين المطلبين يظهر بوضوح: إن الإسلام على ما أنزله الله تعالى في الكتاب، وبينه الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين من أهل بيته (عليه السلام) في السنة، لو تعرف عليه الناس وعلموا به، لأثر أثراً كبيراً في أعماقهم، ولحوّلهم إليه، ولجعلهم يؤمنون به، ويسلمون له تسليماً. وهذا مما يضاعف مسؤولياتنا تجاه الإسلام، وتجاه نشره. وعليه: فلا بد لنا اليوم من الاهتمام الأكثر بتبليغ الإسلام وإيصاله إلى كل الناس وفي كل المعمورة. ولنكن على اطمئنان من مخارج تبليغنا، ووثوق من تأثير عملنا هذا، فانه سوف يأتي بنتائجه الطيبة، وثمراته الياقة، حين يدخل الناس في دين الله أفواجا، ويسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

من أساليب التبليغ

وان من الأمور التي تساعد على وصول الإسلام إلى كل الناس وانتشاره في الأرض هو: الطبع والنشر، فان طبع الكتب في هذا المجال ونشرها في مقادير كبيرة وكميات عالية، وبالسنة مختلفة، له تأثير كبير في هداية الناس إلى الإسلام، وتوفيقهم لاعتناقه.

كما إن تأسيس منظمة عالمية لها شعب في كافة بلدان العالم، وفروع في كل مناطق الدنيا، تقوم في كل فروعها وشعبها بإقامة مؤتمرات حول الإسلام وإلقاء محاضرات قوية وصانبة فيها، وفتح مراكز للحوار الحر، والمناظرات الآمنة والمسؤولة حول أحكام الإسلام وقوانينه الحكيمة، واستخدام كل وسائل الإعلام الحديثة كـ(الانترنت)، وغيرها في إيصالها وإبلاغها إلى الناس، له تأثير كبير أيضاً في هداية الناس إلى الإسلام.

كما إن علينا أن نعرف الناس الواجهة الحقيقية للأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن أشبههم، ونطلعهم على ان الإسلام كان في معزل عنهم وبريناً منهم ومن تصرفاتهم، كما إن الرسول (صلى الله عليه وآله) اليوم هو في معزل عن حكام البلاد الإسلامية وحكومتها، وإن اشتهرت بالإسلامية كما اشتهرت تلك، وبريناً منها ومن تصرفاتها، فأنها اليوم تتشدد بالاسلام، ولكنها تحت غطاء هذا الاسم المقدس، كم جنوا من جناية؟ وكم أكرموا من إجرام؟ أنهم يفسدون في الأرض ويجنون على البلاد والعباد ويجعلونه على حساب الإسلام، وهذا هو ذنب لا يغفر، لأنه تشويه للإسلام الحنيف، وتمويه لمعالمه الناصعة.

والمدقق في الأمور يرى أن هذه الحكومات كأنها قد جاءت باسم الإسلام لأداء هذه المهمة الخطيرة، مهمة: تشويه الإسلام وتنفير الناس عنه، وإلا فلماذا ينسبون تخلفاتهم المخزية، وجنایاتهم البربرية، إلى الإسلام مع ان الإسلام بريء منها أشد البراءة؟

وكيف كان: فإنه يجب علينا القيام بالتبليغ، واتباع كل أساليبه، والتعريف بالإسلام على صورته التي أنزلها الله في كتابه، وبلغها رسوله (صلى الله عليه وآله)، وعرفها الأئمة المعصومون من أهل البيت (عليهم السلام) إلى الناس، وعند ذاك سوف نرى الاستقبال الواسع من الناس للإسلام، والدخول فيه، والاهتداء بنوره، ونيل السعادة بسببه.

الحوزات العلمية ومهمتها

ومن المواضيع المهمة التي ينبغي التوجه إليها والاهتمام بها: هو فيما يخص الحوزات العلمية المتواجدة في النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة، وقم المشرفة، ومشهد المجتة، واصفهان وغيرها من البلاد الإسلامية، فإن عليها جميعاً الاهتمام بأمر التبليغ والمبلغين.

كما إن على رجال الدين السفر إلى أقصى المعمورة، وكل أطراف الأرض، لتبليغ الإسلام فيها، وهداية الناس إليه.

وهناك احصائيات تقول: ان للبابا يوحنا الثاني - قائد المسيحيين الكاثوليك - في أفريقيا وحدها مليون وخمسمائة ألف مؤسسة تبشيرية، تبلغ للمسيحية وتدعو الناس إليه، إضافة إلى أن هناك أربعة ملايين ومائة ألف مبلغ مسيحي بين راهب وراهبة يعملون تحت إشراف البابا بالأمور التبشيرية، ويدعون الناس في مختلف

أنحاء العالم إلى المسيحية.

وبالمقارنة بين عدد مبلغهم ومؤسساتهم التبشيرية، مع عدد مبلغنا ومؤسساتنا التبليغية يظهر الفرق شاسعاً وكبيراً، ويتضح لنا ضرورة اهتمام الحوزات العلمية ورجال الدين الأفاضل بمهمة التبليغ، ووجوب درج مسألة التبليغ والمبلغين في رأس قائمة أعمال الحوزات، وفي مقدمة اهتمام رجال الدين.

المؤسسات والجمعيات الخيرية

ومن المواضيع المهمة التي يجب على المسلمين الانتباه إليه، والاهتمام به: هو متابعة الوضع المأساوي للمسلمين في كل العالم، ودراسة مؤسساتهم المدمرة، والمطالبة بحقوقهم في كل المنظمات والمؤسسات الحقوقية، وإبلاغ مظلوميتهم إلى سمع الأحرار من الناس، وصوتهم إلى أذان كل من له وجدان وضمير.

وهذا بحاجة إلى تأسيس منظمات ومؤسسات، وأحزاب وتجمعات حقوقية، وجمعيات خيرية نشطة، تعمل على نطاق واسع، وبشكل مكثف، وبصورة متواصلة، وعلى كل الأصعدة، لتستطيع من إيصال مظلومية المسلمين في كل المجالات: السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، وغيرها إلى كل العالم والمطالبة بحقوقهم، ومن تقديم الاسعافات الأولية والحاجات الضرورية إليهم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يد الله مع الجماعة)(٣٠)، فان كل عمل كثرت عليه الأيدي سهل وهان، ومن المعلوم، ان المشكلات الكبيرة والكثيرة التي ابتلي بها المسلمون اليوم، لا يمكن لفرد واحد، ولا لأفراد قليلين حلها وتجاوزها والغلبة عليها.

بل لابد من جمعيات خيرية ومؤسسات إصلاحية، في كل ثغر ومكان، وفي كل مدينة وقرية، والتنسيق فيما بينهم، والعمل على هدف واحد، ووتيرة واحدة، حتى يستطيعوا من إنجاز بعض مهامهم الإنسانية العظيمة، التي من جملتها: إيصال مظلومية المسلمين إلى كل العالم، ومساعدة الفقراء والمعوزين منهم، وتزويج العزاب منهم شباناً وشابات، وتأسيس المكتبات العامة ومحلات بيع الكتب، وإنشاء مراكز ثقافية وتعليمية وغير ذلك.

على المسلمين استعادة مؤسساتهم

وفي بعض التقارير: إن في أمريكا وحدها، مليوناً ومائتين وخمسين ألفاً من المؤسسات الاجتماعية والسياسية وغيرها، باسم مختلف الجمعيات، والهيئات، والأحزاب، والمنظمات، وغير ذلك، وهي تعمل جميعاً وعلى كل الأصعدة، وفي جميع المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية لحل مشاكلهم وتطور بلادهم.

وهذا أمر لابد منه في البلاد الإسلامية، فان المسلمين الأوائل كانوا هم أساس هذه المؤسسات والجمعيات الخيرية، وعلى المسلمين اليوم جميعاً الاهتمام به، وتأسيس كل هذه المؤسسات والجمعيات، واستعادتها في حياتهم، ليحلوا بها مشاكل المسلمين، ويقدموا لهم الخدمات الإنسانية اللائقة بهم.

٣٠- راجع الفصول المختارة: ص ٢٣٧، وفيه: (يد الله على الجماعة).

الإمام الحسين (عليه السلام) والشعائر الحسينية

ومن المواضيع المهمة جداً، ولعله هو أهم المواضيع كلها، موضوع استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) والشعائر الحسينية، فلقد صرّح في هذا المجال أحد القساوسة الكبار قائلاً: (لو كان لنا نحن المسيحيين الإمام الحسين لاستطعنا أن ننصّر العالم كله تحت رايته).

وهذا التعبير إن دل على شيء، فإنه يدل على مدى فاعلية قضية الإمام الحسين (عليه السلام) والشعائر الحسينية في النفوس، وتأثيرها على الأرواح والقلوب، وقدرتها على استعطاف الناس واستهواء الجماهير. وهذا التعبير هو تعبير عن الحقيقة والواقع، فإن قضية الإمام الحسين (عليه السلام) والشعائر الحسينية هي كذلك في الواقع الخارجي، بل أكثر من ذلك، وقد تلمّس هذا القس الواقع الخارجي وتحسّسه بقلبه ومشاعره ثم فاه بهذه الكلمة وصرّح بهذا التعبير، فإن صاحب هذا التعبير لم يكن إنساناً مسلماً حتى يتهم بالغلو وجرّ النار إلى قرصه، ولا إنساناً جاهلاً حتى يقذف بأنه كلام إنسان جاهل لا يعرف الموازين، بل هو كلام قس من قساوسة المسيحيين متعصب ومتحمس للمسيحية والمسيح (عليه السلام)، ألا ترى أن المسيح (عليه السلام) الذي يقول الله تعالى عنه: (وما قتلوه وما صلبوه) (٣١) كيف يفترض المسيحيون له مظلومية وإهية، ويمثلون مظلوميته في شعار (الصليب) ويملنون كل العالم بشعارهم هذا؟

نعم علينا أن نعرف عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومظلوميته، وأهمية الشعائر الحسينية، ونؤدي حقها الواجب علينا تجاهها، وإن لا نكون بالنسبة إليها أقل مما هو عليه المسيحيون بالنسبة إلى السيد المسيح (عليه السلام).

الحداد على الإمام الحسين (عليه السلام)

نعم علينا أن نهتم بكل ما يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام)، ويرتبط بالشعائر الحسينية ارتباطاً ما، من ارتداء الملابس السود، وتغطية الجدران والشوارع والبيوت والمساجد والحسينيات وغيرها بالسواد، ورفع الأعلام السود فيها علامة للحزن والحداد على الإمام الحسين (عليه السلام)، إلى إقامة المجالس، ومختلف مواكب العزاء، مما قد تعارف بين الناس من الشعائر الحسينية.

بل وأكثر من ذلك، علينا أن نسعى في تعميم هذه الشعائر في كل العالم وعبر كل وسائل البث المتطورة، والإعلام الجديد والحديث، كيف لا نسعى لذلك وفي الحديث: إن الله تبارك وتعالى عند حلول شهر المحرم يأمر السماوات والأرض، ومن فيهما، وحتى الحور في الجنان باتخاذ الحداد على الإمام الحسين (عليه السلام).

مع المنبر الحسيني

إذن: فعلياً أن نبذل جهدنا في إقامة الشعائر الحسينية بشكل أحسن، وبصورة أكبر، وبشمولية أوسع، وإن نعتني بمجالس العزاء والمنبر الحسيني عناية كبرى، ونرفع من كمّها وكيفها باستمرار ودوام، وذلك بأن نقيم

المجالس إقامة حسنة، وإن نراعي فيها الكيفية المطلوبة لدى الناس، وخاصة ما يفيد الشباب و الناشئة، وإن ندعو الخطباء البارعين، والمبلغين الحسينيين المبرزين، لإدارة المنبر والخطابة في الناس، وإلقاء المحاضرات المفيدة والقوية عليهم، متضمنة متطلبات العصر، وملبّية لحاجيات المجتمع، ومتفاعلة مع النفوس والقلوب، والأفكار والعواطف.

فإن في سيرة أهل البيت (عليه السلام) وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتاب الله عزوجل ما يروي العطشان الضامي ويشبع السغبان الجائع.

إن فيها الدنيا والآخرة، والعقل والعاطفة، والقوة والمنطق، والميزان والحكمة، والسلم والسلام، والتعاون والتعاطف، والألفة والمحبة، والتقدم والرفق، والرفعة والازدهار.

وبكلمة واحدة فيها كل ما يحتاجه الإنسان في مسيرته الإنسانية، ورحلته التكاملية وحياته اليومية، من سلامة روحه وجسمه، وسعادة حياته، ورغد عيشه، وأمن سفره وحضره، وصلاح دنياه وآخرته.

لكن على الخطيب البارع، والمبلغ الجامع، أن يستخرج كل هذه الكنوز والدفائن، ويتعرف على ما يتطلبه المجتمع وما يحتاج إليه، ثم يطرح شيئاً من ذلك الكنز على ساحة الأفكار والآراء، وفي معرض الأسماع والأبصار ما ليأخذه منها كل واحد منهم حاجته، وليقتطف من ثمارها ما يعجبه، وبذلك نكون قد أدّينا واجب المجلس، وقمنا بمسؤولية المنبر، ولصار هذا سبباً لالتفاف الناس حول المجلس والمنبر، واعتنائهم بهما أكثر فأكثر.

مجالس العزاء وآثارها الطيبة

وإنني لأتذكر جيداً مجالس كربلاء المقدسة ومنابرها الحسينية، فقد كان يقام فيها وفي كل ليلة - أحياناً - ما يقرب من مائتي مجلس، وإن الناس الذين كانوا يحضرون في تلك المجالس، ويتربّون على مائدة الإمام الحسين (عليه السلام) المعنوية والفكرية، والدينية والعقائدية، أصبحوا فيما بعد من مؤسسي الحسينيات والمساجد والمكتبات والهيئات والمؤسسات الخيرية في كل مكان حلّوا ونزلوا.

إنّ: فلا بدّ لنا من الاعتقاد بأن إقامة مجالس العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) والشعائر الحسينية، إضافة إلى الأجر والثواب الجزيل الذي فيه، يكون مفيداً لنا في إصلاح دنيانا، ومفيداً لنا في إصلاح آخرتنا.

في ضيافة الإمام الحسين (عليه السلام)

وهنا لا بأس بذكر قصة اتفقت في مدينة قم المقدسة، وذلك قبل عدة أعوام لنعرف شيئاً من فوائد هذه المجالس الحسينية.

إن أحد علماء طهران ممن كان يهتم كثيراً بمجالس الإمام الحسين (عليه السلام) ويتحمس للشعائر الحسينية، ويشجّع الآخرين على تأسيس المجالس والمواكب وإقامة هذه الشعائر، كان قد أوصى إلى أولاده بأن يدفنوه في كربلاء المقدسة حين ما مات.

فلما توفي هذا العالم وأراد أولاده العمل بوصيته، صادفهم الاختلاف الموجود بين إيران والعراق، وغلق الحدود المصطنعة فيما بينهم، بحيث لم يسمح لأحد الذهاب إلى العتبات المقدسة في العراق، ولا إلى دفن موتاهم

هناك، فتشاور الأولاد فيما بينهم في قصة دفن أبيهم، وقالوا: بما أنا لم نقدر على تنفيذ وصية والدنا، فعلينا أن ندفنه في بلد مقدس آخر عند جوار واحد من أهل البيت (عليهم السلام)، فاما ان ندفنه في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان، أو في جوار مرقد السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) في مدينة قم. وبعد التشاور اتفق رأيهم على أن يدفنوه في قم المقدسة، وذلك لأنه أقرب إلى طهران، ويمكنهم زيارته والحضور على قبره للفتاحة أكثر مما لو دفنوه في غيرها. فجاءوا بجثمان أبيهم ذلك العالم الحسيني إلى قم ودفنوه في إحدى مقابرها.

ومن المتعارف لدى الناس انهم يزورون موتاهم ويحضرون على قبورهم لقراء الفاتحة على أرواحهم في اليوم الثالث من موتهم، وكذلك في اليوم السابع، وهكذا في اليوم الأربعين، وأيضا في الذكرى السنوية من وفاتهم، وهذا المتعارف مأخوذ من الروايات، ففي الروايات على ما في كتاب (لنالي الأخبار) وغيره من مصادر الحديث: ان روح الميت بعد مفارقتة للجسد، يعود إلى زيارة الجسد في القبر عدة مرات، في اليوم الثالث، وفي اليوم الخامس - وهذا اليوم لم يتعارف فيه زيارة الموتى عند الناس - وفي اليوم السابع، وفي اليوم الأربعين، وبعد مرور عام واحد.

والظاهر ان عودة الروح إلى الجسم في القبر هو على نحو الشعاع مما يلانم عالم البرزخ، وليس عودة حقيقية كما في عالم الدنيا أو عالم الآخرة والقيامة (٣٢)، فيقف على جسده ويرى ما حلّ به من التفسخ والتفكك، فيعز عليه ذلك ويتأثر بشدة لأنه كان مدة من الزمن مرافقا له، فيخاطبه: أنت الذي لم تكن تتحمل أن يجلس التراب أو الذباب على وجهك وخذك، فكيف استسلمت لهذا البلاء؟ فهلا كنت قد أعددت لنفسك في الدنيا ما يدفع عنك في هذا اليوم هذه المكاره والشدائد؟ نعم هذه عادة متعارفة وعليه قامت الأدلة.

وأسرة هذا العالم وأولاده كبقية الناس زاروا قبر أبيهم في اليوم السابع من وفاته حسب المتعارف، لكن الذي فاجأهم هو: انهم رأوا جماعة غرباء لم يعرفوهم، قد جلسوا حول قبر والدهم، كجلوس أسرة الميت على قبر ميتهم، وقد اشتغلوا بقراءة الفاتحة وتوزيع الحلوى والفواكه على روح الميت، فتقدم أولاد ذلك العالم إلى أولئك الجالسين حول قبر والدهم وسألوهم قائلين: هل انكم اشتبهتم حيث جلستم على هذا القبر؟ قالوا: لا.

قالوا: هل تعرفون صاحب هذا القبر معرفة صداقة أو قرابة أو جوار أو غير ذلك مما جعلكم من أجله تجلسون على قبره؟

قالوا: لا، ليست بيننا وبينه أية نسبة ولا صداقة ولا جوار.

قالوا: فما هو سبب جلوسكم على قبره مع انه ميتنا وليس بميتكم؟

قالوا، وهم يخاطبون أولاد العالم المتوفى: ما نسبتمكم أنتم مع صاحب هذا القبر؟

قالوا: نحن أولاده وأسرتة.

قالوا: إن لنا في ذلك قصة:

٣٢- راجع كتاب (موسوعة الفقه) المدخل، كتاب العقائد، للإمام الشيرازي دام ظله.

كان لنا والد توفي قبل اثني عشر عاماً وقد دفناه في هذه المقبرة، وحيث انه لم يكن ملتزماً في دينه أيام الدنيا، كان معذباً في برزخه وقبره، ولذا كلما رأيناه في المنام وزرناه في عالم الرؤيا طيلة هذه السنوات، رأيناه في حالة يرثى له من الشدة والعذاب، إلى قبل ليلتين، فقد رأيناه في المنام وهو بحالة جيدة ومرضية، يتوسط بستاناً جميلاً، فيه أنواع الفواكه والطيور، محفوفاً بالأشجار.. تجري من تحتها العيون والأنهار، فتعجبنا من ذلك وسألناه عن حاله وعن تغير أوضاعه بعد مرور اثني عشر عاماً، ورجوناه أن يخبرنا عن سببه، وانه هل كان السبب الخيرات التي كنا نبعثها على روحه، أو شيء آخر؟

فأجاب قائلاً: ان الخيرات كانت مفيدة ومؤثرة، لكن الذي سبب نجاتنا، وهياً لنا هذه النعم، وعفى الله عن سيئاتنا التي ارتكبتها في الدنيا هو موت أحد العلماء ودفنه في هذه المقبرة، وأشار إلى هذا القبر الذي نحن الآن جلوس عنده. ثم قال: فمن اليوم الذي دفن هذا العالم هنا، رفع الله عنا العذاب ببركة الإمام الحسين (عليه السلام)، فانه (عليه السلام) جاء إلى زيارة هذا العالم، وعندما دخل هذه المقبرة أمر الله برفع العذاب عن جميع أهل هذه المقبرة المدفونين فيها احتراماً لقدم الإمام الحسين (عليه السلام)، وأجل حسابنا إلى يوم القيامة. ثم أضافوا قائلين: ونحن لما عرفناه بأن صاحب هذا القبر قد صار سبباً لرفع العذاب عن أبنينا، أقبلنا إلى زيارته وقراءة الفاتحة على روحه تقديراً وشكراً له على ذلك.

الإمام الحسين (عليه السلام) يكافئ معزيه

وفي هذا الباب قصص أخرى كثيرة، وكلها تؤكد على ان من يقوم ولو بخدمة بسيطة في مجالس الإمام الحسين (عليه السلام) وفي اقامة الشعائر الحسينية، فانها تقع مقبولة ومقدرة عند سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام)، وانه يكافئ عليها، لأن الله تعالى أعطى الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك وخوله في المكافاة، فخدمة الإمام الحسين (عليه السلام) مفيدة للدنيا والآخرة.

نعم، ان واقعة كربلاء وقصة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) يلزم أن تبقى حية وفاعلة، وحياتها وبقاؤها يكون بسبب المجالس والمنابر والشعائر الحسينية، ولذا ترى الحكومات الظالمة في البلاد الإسلامية وحتى التي تدعي الإسلام منها، تحارب الشعائر الحسينية خوفاً من الاطاحة بعرشها، وكثيراً ما تحاربها للقضاء على أصل الواقعة ودفن آثارها، ليصفى لها حكمها ويسلم لها عرشها.

الشعائر الحسينية وعزاء التطبير

ولأجل ان نعرف مدى أهمية الشعائر الحسينية ومجالس عزاء الإمام الحسين (عليه السلام)، لا بأس بالإشارة إلى هذه القصة التي اتفقت لي مع جماعة من شيعة الهند في قم المقدسة، وذلك قبل سنتين تقريباً، والقصة كالتالي:

زارني جماعة من مسلمي الهند قبل سنتين وكانوا جميعاً من الشباب والكمليين الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين سنة تقريباً، فسألته عن سبب مجيئهم إلى قم المقدسة. فقالوا: جئنا للزيارة ونحن في طريقنا إلى العراق لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وسائر الأعتاب المقدسة فيها.

قلت: جيد جداً، وفقكم الله تعالى لذلك وتقبل منكم، ثم قلت لهم: ولأي سبب جئتم لزيارتي؟
قالوا: سمعنا باسمك في الهند، فجئنا لنتعرف عليك من قريب.

قلت: طيب، جئتم أهلاً وسهلاً، ثم التفت إليهم وسألتهم: هل أنت شيعية، أو من أبناء العامة؟ وذلك لأن من المتعارف عند أبناء العامة زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) أيضاً، فإني لما كنت في كربلاء المقدسة كنت أرى أن أبناء العامة أيضاً يأتون إلى كربلاء ويزورون الإمام الحسين (عليه السلام)، لأن الإمام الحسين هو سيد شباب أهل الجنة(٣٣)، كما قال في حقه جده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأبناء العامة يعترفون بذلك(٣٤).

فقالوا: نحن شيعية ان شاء الله تعالى؟

قلت: هل انكم تنحدرون عن أصل شيعي، أو انكم تشيعتم ولم يكن أحد من والديكم شيعية؟
فقالوا: لا، لم ننحدر من أصل شيعي، بل كنا من الهندوس وغير ذلك، ثم اخترنا التشيع وأصبحنا شيعية..
قلت: وما السبب في تشيعكم، ولماذا صرتم شيعية؟

فقالوا: نحن من بلاد متفرقة في الهند، فبعضنا من بمباي، وبعضنا من فيض آباد، وبعضنا من لکنهو وكلكته وغير ذلك، فبلادنا مختلفة، ولكن عامل تشيعنا واحد، فإن السبب الذي دعانا إلى أن نترك دين آبائنا، ونختار الإسلام ديناً، والتشيع مذهباً، هو: الإمام الحسين (عليه السلام).

قلت: وكيف كان الإمام الحسين (عليه السلام) سبباً لهدايتم جميعاً؟

قالوا: إن سبب هدايتنا ما رأيناه من موضوعين يرتبطان بالإمام الحسين (عليه السلام)، أولهما: التطبير على الإمام الحسين (عليه السلام) فإن كثيراً من الناس غير المسلمين في بلادنا يسلمون ويشيعون على أثر مواكب التطبير.

قلت: وكيف كان عزاء التطبير على الإمام الحسين (عليه السلام) سبباً لهدايتم؟

فقالوا: نحن كلنا من الطبقة المثقفة، بين مهندس وطبيب، ومحام، وأستاذ، وغير ذلك، وكل منا يعلم بان من يجرح إصبعه ويسيل منه شيء من الدم، عليه أن يضمد إصبعه ويدأويه أسبوعاً كاملاً أحياناً، وعليه أن لا يقربه من الماء، وإن يحميه من كثير من الأمور، حتى يندمل جرح الإصبع، بينما نرى هؤلاء المطبرين الذي جرحوا رؤوسهم بالقامات والسيوف باسم الإمام الحسين (عليه السلام) وشدخوا هاماتهم بها من أجله، نراهم وقد سالت الدماء من جراحات رأسهم وانفلق هاماتهم، وغرقت بذلك ملابسهم واكفانهم، ومع ذلك وبعد انتهاء عزاء التطبير، يذهبون إلى الحمامات ويغسلون رؤوسهم على ما بها من الجراحات الكثيرة بالماء فقط، ثم يأتون إلى صلاة الظهر والعصر فيصلونها جماعة، ثم يشتغلون بعد ذلك باللطم على الإمام الحسين (عليه السلام) والمشاركة في سائر الشعائر الحسينية، ويحضرون في المجالس، من دون أي معاناة أو مشكلة، أو أذى، حتى كأنه لم يكن منهم شيء من ذلك الذي كان من سيلان الدم ومن الجراحات الكثيرة، أ فلا يكون ذلك معجزة من معجزات الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا هو الموضوع الأول الذي سبب هدايتنا وتشيعنا.

٣٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٧٣، المجلس ٧٢.

٣٤- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٤. ترجمة الحسن بن علي (عليه السلام).

ثم قالوا: أن الموضوع الثاني الذي سبب هدايتنا إلى الإسلام، وأوجب تشرفنا بمذهب التشيع هو: عزاء الدخول في النار في يوم عاشوراء باسم الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا العزاء متعارف في بلاد الهند والباكستان وبعض بلاد أفريقيا.

قالوا: انا رأينا بأمر أعيننا مواكب المعزين رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، كيف يهتفون (يا حسين يا حسين) ويدخلون في نار لا يمكننا الاقتراب منها من شدة حرارتها وهم حفاة، ويتجاوزونها دون أن يحسوا بألم النار ناهيك عن احتراق أرجلهم بها، أو احتراق جواربهم مثلاً؟

ثم أضافوا قائلين: هذان الموضوعان المرتبطان بالإمام الحسين (عليه السلام) سبب هدايتنا إلى دين جده فصرنا مسلمين، وإلى مذهب أهل البيت (عليه السلام) فصرنا شيعة معتقدين بهم (عليهم السلام) وها نحن عازمين إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة.

تقرير الإمام كاشف الغطاء (رحمه الله) عن عزاء التطبير

يقول الإمام كاشف الغطاء (قدس سره): إني شاهدت في النجف الأشرف مواكب عزاء التطبير على الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء مدة ستين عاماً، فلم أر حتى إنساناً واحداً طيلة هذه الأعوام يتضرر من ذلك، أو يصيبه أذى.

هذا كلام الإمام كاشف الغطاء (قدس سره)، وأنا أضيف إليه: إنني أيضاً رأيت مواكب عزاء التطبير ستين عاماً في كربلاء المقدسة وفي النجف الأشرف معاً وفي غيرهما من البلاد، ومع ذلك لم أر إنساناً واحداً يتأذى من التطبير، أو يتضرر به، بل على العكس من ذلك، فقد رأيت كثيراً من اللذين يطبرون مواساة للإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء وبهم أمراض مختلفة قد برؤوا من أمراضهم ببركة الإمام الحسين (عليه السلام)، وببركة ما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) من الحجامة على الرأس وسماها: المنقذة والمنجية، لأنها تنقذ من الموت وتنجي الإنسان منه^(٣٥)، وقد ثبت في علم الطب: أن كثيراً من الأمراض تكون بسبب كثافة الدم وغلظته أو تخثره، والحجامة بالرأس تدفعه، والتطبير على الإمام الحسين (عليه السلام) يكون في موضع الحجامة، فيجتمع ما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) مع ما يحبه (صلى الله عليه وآله) من المواساة لسبطه الشهيد الإمام الحسين (عليه السلام) زائداً إلى معجزة الإمام الحسين (عليه السلام) وعنايته لمن يواسونه في مصيبتهم، فينتج السلامة والهداية معاً.

الاشتراك في الشعائر: توفيق إلهي

إن على المسلمين رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، شباباً وشيباً، أن يشتركوا كيف ما أمكنهم في مجالس الإمام الحسين (عليه السلام) ويهتموا بإقامة الشعائر الحسينية، وذلك لأن في واقعة كربلاء، وفاجعة الطف، كان قد اشترك إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام): الرجال والنساء والأطفال والرضعان والشباب والشيوخ، مثل

^{٣٥} - معاني الأخبار: ص ٢٤٧ باب معنى الحجامة النافعة والمغيثة والمنقذة. ومكارم الأخلاق: ص ٧٦، الفصل الرابع في الحجامة.

حبيب بن مظاهر الأسدي ومسلم ابن عوسجة وغيرهم، وفي الحديث: لبيك الرجال على رجال الطف بكربلاء، ولبيك النساء على نساكنهم.

ولعل هذا لأجل أن النساء يدركن مصائب النساء أكثر من غيرهن، كما أن الرجال يدركون مصائب الرجال أكثر مما يدركه غيرهم، وهذا لا ينافي أن يبكي كل من الرجال والنساء على مصائب كل الرجال والنساء لواقعة الطف معاً، كما كانت سيرة الأئمة المعصومين (عليه السلام) جارية على ذلك. ومعلوم أن للبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) أجراً جزيلاً وثواباً كبيراً، وفي الخبر: (من بكى، أو أبكى، أو تباكى، فله الجنة) (٣٦).

ودخول الجنة يكون في البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) أو الإبقاء له أو التباكي عليه، مع شروطه طبعاً، ومن جملة شروطه: انسجام الباكي مع الإمام الحسين (عليه السلام) وتطبيق نفسه مع أهدافه الإنسانية الرفيعة، وذلك مثل أن نقول: الماء مطهر، فإن الماء يكون مطهراً لكن بشروطه، فاليد التي انجمد عليها النجاسة، وتصلب عليها الدم مثلاً، لا تقبل التطهير مهما صب الماء عليها، بل لابد من إزالة النجاسة وغسل الدم أولاً ثم صب الماء على اليد فذلك الوقت يكون الماء مطهراً لها، وهكذا البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام). نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نصلح دنيانا وآخرتنا في ظل تعاليم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، وأن يجعلنا من السعداء في الدنيا والآخرة. اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي